مجلة المرابط

العدد : ٢٣٥ الموافق في محرم ١٤٢٣ هجري ٢٠٠٢/٤ ميلادي

عنوان المقال : التدخين .. قولة حق فيه	الكاتب : حسين عادل الأسعد

التبغ : نبات لا يقربه بالغريزة الحيوان والطائر ، واحتراق الجاف منه - عملية التدخين - هو إدخال نواتج التبغ المحترق " العادم " إلى جهاز الإنسان التنفسي ، حيث تمتص الحويصلات والخلايا الرئوية هذه النواتج بأساليب معينة ، فينتقل القابل للذوبان (وتختلف المواد تلك في قابلية ذوبانها) ، كما هو الحال في :

- " أحادي أكسيد الكربون CO " : غاز سام ،
- و " ثنائي أكسيد الكربون CO2 " : غاز ثقيل خانق ،
- و " النيكوتين Nicotine " : مادة مخدرة ،
- وكميات قليلة من مادة " البنزوبايرين Benzopyrene " : سرطانية التأثير ،
- و " أكسيد الرصاص As2 O3 " : مادة سامة . أما المواد غير القابلة للذوبان فتستقر بكميات قليلة على الأسنان فتسوّدها ، وتمتص اللثة والبلعوم والمريء كميات منها فتسبب الرائحة الكريهة الدائمة للفم ، بينما تستقر الكميات الكبرى منها في الرئتين ، وأهم هذه المواد هو " القطران Pix " : سائل أسود اللون كريه الرائحة ثقيل .

ومن الأهمية بمكان الإشارة إلى أن المواد العطرية المضافة إلى التبغ خلال عمليات تصنيعه كي يكون لفائف تبغية " سجائر " لتبدو طيبة المذاق والطعم هي أكثر خطراً عند احتراقها أثناء عملية حرق التبغ نفسه (عملية التدخين) ، إذ تتحول العطريات إلى مواد سامة وسرطانية التأثير ، وتختلف تلك المواد في درجة سميتها وتأثيرها السرطاني باختلاف تلك العطور ، وهذا وسواه مدخل مهم جداً تتسرب من خلاله - بهدوء شديد - أهداف ونيات - مُؤكَّدٌ أنها سيئة - لأعدائنا الذين يصدرون لنا (بل نستورد منهم) تلك السجائر!! .

لسنا نعرف فائدة مؤكدة للتبغ واحتراقه سوى ما يدعيه بعض المدخنين من تهدئته للأعصاب ، ولكن مضاره تكاد ترفع علماً متميزاً لا يجارى إلا عند مدمني المخدرات ، وتتلخص تلك المضار بما يأتي :

مجلة الرائد

العدد : ٢٣٥ الموافق في محرم ١٤٢٣ هجري ٤/٢٠٠٢ ميلادي

عنوان المقال : التدخين .. قولة حق فيه	الكاتب : حسين عادل الأسعد

١- في الصحة : يسبب التدخين أمراض الفم المختلفة بخاصة للشفتين واللسان واللوزتين وسرطان اللثة ، كما يسهم - بهمة - في مرض سرطان الحنجرة والرئة ، ويسبب ضيق التنفس ، ويضعف عضلة القلب ، وكذلك مرض قصور الشريان التاجي ، وتصلب الشرايين ، كما يساعد على السل الرئوي والسكتة القلبية وقرحة المعدة ، وله تأثير سلبي على النسل . (والعهدة في كل هذا على الأطباء) !!

٢- في السلوك العام : يؤدي التدخين إلى ضعف شخصية المدخن وخاصة عندما تنفد منه سجائره ، أو لا يستطيع شراءها ، وكم من مدخن بحث في ظروف مماثلة عن أعقاب السجائر في سلال القمامة (البيتية على الأقل) ، وكم من مدخن - بعد تردد - طلب من شخص أن يسعفه بسيجارة ، وهو يعرف أنه لا يليق به من حيث المبدأ أن يطلب شيئاً من شخص (محترم) ، بل يمكن لبعض السيدات المدخنات أن يتساهلن بأمور حساسة كالحياء من أجل سيجارة!!

٣- في الذوق العام : تترك عملية التدخين رائحة خاصة من فم المدخن لتستقر على ثيابه - إضافة إلى فمه وأصابعه - في عملية " امتزاز Asdorption " كيميائية فيبدو المدخن كريه الرائحة أينما ذهب . كما يضطر المدخن إلى التدخين في الأماكن العامة فيسيء إلى الآخرين ويؤذيهم باستنشاقهم الإجباري للدخان رغماً عنهم ، مما يؤدي إلى أمراض لهم ليسوا في حاجة لها .

لم يكن التدخين موجوداً زمن الرسول ﷺ وبعده حتى أدخله الغزاة " المخربون " تدريجياً بوسائل شتى أواخر القرن الهجري العاشر ، مثلما لم تكن القهوة والشاي ، والمخدرات بكل أنواعها ، وبالتالي لم يأت ذكر هذه الأمور بين قضايا الحرام ، وهو ما يحتج به الكثير من الناس متسلحين بقوله تعالى : { هُوَ الَّذِي خَلَقَ لَكُمْ مَا فِي الأَرْضِ جَمِيعًا ... } [البقرة : ٢٩] واعتبروا اللام في الآية للنفع فتدل على الانتفاع بالمنتفع به ، وقوله تعالى : { قُلْ مَنْ حَرَّمَ زِينَةَ اللَّهِ الَّتِي أَخْرَجَ لِعِبَادِهِ وَالطَّيِّبَاتِ مِنَ الرِّزْقِ ... } [الأعراف : ٣٢] . وذهب كثير من العلماء إلى تحريمه باعتباره من الخبائث ، لأن الخبث في اللغة يطلق على الرديء المستكره طعمه أو ريحه [١] ، ومن أشهر هؤلاء العلماء - الذين يمثلون مذاهب عدة - : نجم الدين الزاهدي ومحمود العيني وأبو الحسن المصري ومحمد المرعشي المعروف بساجقلي زادة

(١) المصباح المنير/١٧٤

عنوان المقال : التدخين .. قولة حق فيه	الكاتب : حسين عادل الأسعد

ونجم الدين الغزي وعبد اللّه العصامي وإبراهيم اللقاني وخالد بن أحمد ومحمد بن عبد الوهاب ومحمد بن إبراهيم وغيرهم . ومع هذا يتعاطف بعض الذين لا يستطيعون ترك التدخين - عن ضعف أو مزاجية - فيقولون : مع هذا لم يأت ذكرها في القرآن أو السنة ، ولو قلنا لهم هل المخدرات حلال أم حرام ؟ لأجابوا فوراً : إنها حرام ، .. أما التدخين فلا .. لماذا لا ؟! .. إنها مكروهة ! لماذا هي مكروهة ؟ (وما هذا التناقض مع أن المخدرات لم يأت ذكرها في القرآن والسنة) . أليست ذات طعم ورائحة كريهة !؟ أليس كل ذي طعم كهذا خبيثاً ؟ ألم يتفق علماء الطب والدين على خبثه ؟ ألم يقل رب العباد : { ... وَيُحِلُّ لَهُمُ الطَّيِّبَاتِ وَيُحَرِّمُ عَلَيْهِمُ الْخَبَائِثَ ... } [الأعراف : ١٥٧] ؟ أليس المكروه أقرب إلى الحرام منه إلى الحلال « إِنَّ الْحَلالَ بَيِّنٌ ، وَإِنَّ الْحَرَامَ بَيِّنٌ ، وَبَيْنَهُمَا مُشْتَبِهَاتٌ لا يَعْلَمُهُنَّ كَثِيرٌ مِنَ النَّاس ، فَمَنِ اتَّقَى الشُّبُهَاتِ اسْتَبْرَأَ لِدِينِهِ وَعِرْضِهِ ، وَمَنْ وَقَعَ فِي الشُّبُهَاتِ وَقَعَ فِي الْحَرَامِ ، كَالرَّاعِي يَرْعَى حَوْلَ الْحِمَى يُوشِكُ أَنْ يَرْتَعَ فِيهِ ، أَلا وَإِنَّ لِكُلِّ مَلِكٍ حِمًى أَلا وَإِنَّ حِمَى اللَّهِ مَحَارِمُهُ ، أَلا وَإِنَّ فِي الْجَسَدِ مُضْغَةً إِذَا صَلَحَتْ صَلَحَ الْجَسَدُ كُلُّهُ وَإِذَا فَسَدَتْ فَسَدَ الْجَسَدُ كُلُّهُ أَلا وَهِيَ الْقَلْبُ » [٢] . وإذا سألنا أي مدخن أن يدلنا على فائدة التدخين الغذائية ؟ لقال لنا فوراً : لا فائدة منها !! ، ولو سألنا : ما فائدته النفسية ؟ لقال المكابرون : إنها تنسيني همومي ، وتخفف عصبيتي وغضبي .. أليس هذا اعترافاً صريحاً أنها مخدرة للأعصاب على نحو ما ، ولماذا تنسون قوله تعالى : { ... وَإِثْمُهُمَا أَكْبَرُ مِنْ نَفْعِهِمَا ... } [البقرة : ٢١٩] ، ولو قلنا لأي مدخن إنها ضارة لخفض عينيه ورأسه واعترف بوضوح أنها كذلك ، إذن لماذا نسيان قوله تعالى : { ... وَلا تُلْقُوا بِأَيْدِيكُمْ إِلَى التَّهْلُكَةِ ... } [البقرة : ١٩٥] ، وقوله تعالى : { ... وَلا تَقْتُلُوا أَنْفُسَكُمْ ... } [النساء : ٢٩] ، حتى إذا لاذ بالصمت نردف مذكرين بقوله تعالى : { ... وَلا تُبَذِّرْ تَبْذِيرًا ۞ إِنَّ الْمُبَذِّرِينَ كَانُوا إِخْوَانَ الشَّيَاطِينِ وَكَانَ الشَّيْطَانُ لِرَبِّهِ كَفُورًا } [الإسراء : ٢٦-٢٧] كيلا يتملص من قول الرسول ﷺ : « لا ضَرَرَ وَلا ضِرَارَ ... » [٣] وقوله أيضاً : « إِنَّ اللَّهَ كَرِهَ لَكُمْ ثَلاثًا : قِيلَ وَقَالَ : وَإِضَاعَةَ الْمَالِ ، وَكَثْرَةَ السُّؤَالِ » [٤] .

---

(١) رواه مسلم وغيره .
(٢) صحيح ، رواه أحمد .
(٣) متفق عليه .

العدد : ٢٣٥ الموافق في محرم ١٤٢٣ هجري ٤/٢٠٠٢ ميلادي

عنوان المقال : التدخين .. قولة حق فيه	الكاتب : حسين عادل الأسعد

٤- في الاقتصاد : يبدو أن مجتمعاتنا (الحديثة) ما عادت تفهم الأشياء إلا إذا كانت بلغة الأرقام ، وإذا قلنا إن عمليات التدخين اليومية تكلف مبالغ خيالية في ثمن السجائر والقداحات والشخاط (علب الكبريت) وإحراق الثياب (أثناء التدخين وبسببه) وإحداث الحوادث المروعة (المكلفة جداً) كإشعال حرائق البيوت والمعامل ومحطات الوقود والبيادر والسيارات وحرائق الغاز وغيرها كثير ، لما كان كلامنا في هذه المجتمعات إلا شيئاً مجرداً لا يأبه به الكثيرون ، فإليهم نسلط الضوء على كلفة اقتصادية واحدة من هذا كله - بالأرقام - وهي : كلفة شراء السجائر فقط ، فنقول :

كلفة شراء علبة السجائر الواحدة (٢٠ سيجارة) يتراوح في العراق مثلاً بين ٣٠٠-٧٠٠ دينار ، وإذا ضرب معدل السعر - ٥٠٠ دينار - بمعدل المدخنين في هذا البلد وهو ما لا يقل عن ١٠% من عدد السكان (٢٥ مليون) فهذا يعني (٢,٥ مليون) مدخن - بمعدل لا يقل بحال من الأحوال عن علبة واحدة يومياً - فهذا يعني (١,٢٥ مليار) دينار تحرق يومياً من خلال عمليات التدخين ، وهذا يعني (٤٥٠ مليار) دينار أي (٢٢٥ مليون) دولار سنوياً - على أساس سعر صرف الدولار ٢٠٠٠ دينار حالياً - وإذا عممنا هذا على الأمة الإسلامية (١,٢٥ مليار) ، لضرب هذا التبذير بمقدار (٥٠ مرة) أي (١١٢٥٠ مليون) دولار أي فقط أحد عشر ملياراً وربع المليار من الدولارات سنوياً .. أكرر سنوياً !!

أليس هذا هدراً لمال الأمة !! وما حكم هدر مال الأمة !!؟ إن لم يكن هدر مال الأمة حراماً فعلى الأرض السلام! هذا المال يكفي لدعم أهلنا المرابطين الشجعان وكل مشاريع المقاومة في فلسطين ..

وأخيراً .. ليس المدخن مسؤولاً وحده بل كلنا أمام اللّه مسؤولون ، حكاماً ومحكومين كل حسب موقعه ، ولعلنا نفهم لماذا يوزع المخربون (المستعمرون) السجائر مجاناً عندما يخربون (يستعمرون) بلاداً ، ثم يوزعونها بثمن بخس ، ثم يرفعون سعرها تدريجياً كلما تمكنت من النفوس .. لماذا ؟ الجواب عند القارئ الكريم!